الطبيعة في المنزل

من كتاب ثقافة الطبيعة : المظاهر الطبيعية في أمريكا الشمالية
من ديزني إلى إكسون فالديز(1991)
ألكسندر ويلسون

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

طوال الجزء الرابع ، كان أحد الأسئلة الرئيسية - إن لم يكن السؤال الرئيسي - هو "ما هي علاقة البشر بالطبيعة ؟" في هذا الاختيار من ألكسندر ويلسون ، "**الطبيعة في المنزل**" ، التركيز على الضاحية الأمريكية في القرن العشرين . في هذا المكان والزمان المحددين ، كانت الإجابة عن السؤال حول البشر والطبيعة ، إلى حد كبير ، أن البشر وتكنولوجيتهم يقفون خارج الطبيعة ويهيمنون عليها . يقدم ويلسون ملاحظة ثاقبة حول كيف يقوم التطوير الحضري الأمريكي على محو الغطاء النباتي "الطبيعي" وإعادة إنشائه لاحقًا . ولكن بدلاً من محاولة إعادة ما كان موجوداً قبل مجيء المطورين ، قدمت صناعة المظاهر الطبيعية بعد الحرب مثالاً نمطياً للنباتات يهدف إلى توفير خلفية محددة للسكن البشري . وهكذا يوضح ويلسون كيف أن الدافع البشري لتشكيل الطبيعة لأغراضنا ، في ضواحي أمريكا بعد الحرب ، كان له عواقب عميقة على ما نعده عادياً ("طبيعياً") ومرغوباً فيه . وهذا لا ينطبق فقط على عالم النباتات غير البشري (وغياب الحياة البرية في الضواحي) ، بل ينطبق أيضاً على العلاقات بين الجنسين بعد الحرب .

إن تشكيل الطبيعة وفقاً للاحتياجات والرغبات البشرية لا يقتصر بأي حال من الأحوال على ضواحي أمريكا الشمالية في القرن العشرين . والواقع أن الزراعة الروتينية للنباتات للاستهلاك البشري والمتعة هي تقليد يعود إلى الحضارة المتوسطية القديمة على الأقل (وبالتأكيد أبعد من ذلك ، في العالم غير الغربي) . في الاختيار الذي قام به جونز وكلوك في هذا الجزء ، "البستان" ، نحصل على مثال معاصر مكمل من الريف البريطاني لمظاهر طبيعية نباتية موجهة بوعي نحو الاستهلاك البشري والمتعة . وبالتالي فإن تصميم المظاهر الطبيعية كمشروع نشط ومهني يشكل الطبيعة وفقًا لاحتياجات ورغبات الإنسان في الضواحي الأمريكية والبساتين البريطانية والحدائق القديمة يمكن عده معًا أنواعًا من المظاهر الطبيعية العاملة ، تمامًا كما ناقش دون ميتشل هذا الأمر في سياق الصناعة الزراعية في كاليفورنيا .

ما يميز تصميم المظاهر الطبيعية في الضواحي الأمريكية بعد الحرب بشكل خاص ومزعج هو طابعه التكنولوجي العالي . فالمبيدات الحشرية والأسمدة وكميات كبيرة من المياه المستخدمة في الري والآلات التي تعمل بالوقود الأحفوري والرغبة في النباتات غير الأصلية المبهرة التي تميل إلى أن تكون أقل قدرة على التحمل في بيئاتها الجديدة ، كل هذا يؤدي إلى أضرار بيئية محتملة . في كتابها الرائد "الربيع الصامت" (1962) ، قدمت راشيل كارسون حجة مبكرة وقوية بشأن التأثيرات المدمرة لاستخدام المواد الكيميائية في المنازل والحدائق على الحياة البرية ، وخاصة الطيور .

ولكن تشخيص ويلسون ليس قاتماً على الإطلاق . بل إنه يؤكد أن تصميم المظاهر الطبيعية في أميركا له تاريخ أطول من مجرد ظهوره في الضواحي بعد الحرب . ففي الأعمال المبكرة لمهندسي المظاهر الطبيعية ، مثل فريدريك إننا إذا ما نظرنا إلى المهندس المعماري الأميركي الشهير فرانك لويد رايت ـ الذي صمم حديقة سنترال بارك في مدينة نيويورك ـ أو إلى المهندس المعماري الأميركي المتميز فرانك لويد رايت ـ

الذي كان من أنصار الضواحي ـ فإننا نرى اهتماماً مستمراً بالتشابك الجمالي بين السكن البشري والنباتات . ويختتم ويلسون هذه المقالة بمناقشة متفائلة حول **علم البيئة الترميمية** ، الذي يراه اتجاهاً واعداً يحاول أن يتصالح مع حقيقة مفادها أن البشر لابد وأن يتدخلوا في الطبيعة ، ولكنهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك بطرق أكثر ودية مما اعتدنا عليه .

إن علم البيئة الترميمية "يغذي تقديراً جديداً للمظاهر الطبيعية العاملة ، تلك الأماكن التي تشكل بنشاط مسكناً متناغماً في العالم" ، وهو ما يتفق إلى حد كبير مع ممارسات ويلسون البستانية . ويمكننا أن نستمتع باستكشاف مثير للاهتمام للسكن البشري المتناغم للمظاهر الطبيعية العاملة في أعمال الفنان الاسكتلندي آندي جولدسورثي . في مقاطع فيديو مثل "الأنهار والمد والجزر" (2001) ، يعمل جولدسورثي باستخدام مواد موجودة حوله ، مثل المعادن أو بتلات الزهور أو الأغصان ، لإنشاء منحوتات كبيرة الحجم أو إنشاءات أكثر ديمومة مثل الجدران والأكوام الحجرية . وعلى الرغم من أن نية الكثير من أعمال جولدسورثي هي أن يتبدد الإبداع دون أن يترك أثراً ، فإن بعض مشاريعه - مثل تغطية الجدران الحجرية المنخفضة بشرائط من صوف الأغنام - تغطي المظاهر الطبيعية العاملة بجمال مصنوع من العادي .

ومن بين جغرافيي الثقافة المعاصرين الذين درسوا التوازن (أو الافتقار إليه) بين البشر والعالم الطبيعي غير البشري رودريك ب. نيومان ، الذي تساءل عمله في المحميات البرية في تنزانيا عن الحدود المتغيرة والمسيسة للغاية بين السكان الأصليين والطبيعة في "فرض البرية : الصراعات على سبل العيش والحفاظ على الطبيعة في أفريقيا" (2002) ؛ وكتاب ريتشارد أ. شرودر "الممارسات المشبوهة : الزراعة الحرجية وسياسات النوع الاجتماعي في غامبيا" (1999) ، والذي يمكن قراءته للتعرف على بعض أوجه التشابه المثيرة للاهتمام ، فضلاً عن الاختلافات المذهلة ، مع ملاحظات ويلسون حول الطرق التي تتغير بها الأدوار والعلاقات بين الجنسين بالبيئة معًا .

ولد ألكسندر ويلسون (1953-1993) في الولايات المتحدة ، ونشأ في أوكلاند ، كاليفورنيا . وفي العشرينيات من عمره ، انتقل إلى تورنتو ، كندا . وكونه باحثًا نشطًا ، انخرط ويلسون أيضًا في النشاط المجتمعي ومارس تصميم المظاهر الطبيعية . وقد صمم المظاهر الطبيعية للنصب التذكاري للإيدز، في منتزه كاوثرا (يقع في حي يغلب عليه المثليون في تورنتو) . ومن المؤسف أن ويلسون لم يعش ليرى خططه تُنفَّذ ، حيث أودى الإيدز بحياته بعد ذلك بوقت قصير في سن الأربعين . وفي عام 1998 ، بعد خمس سنوات من وفاته ، تم إنشاء حديقة أليكس ويلسون المجتمعية في تورنتو تخليدًا لذكراه البيئة الاجتماعية لتصميم المظاهر الطبيعية .

في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إننا لا نتحدث ونحلم بعلاقاتنا مع العالم غير البشري فحسب ، بل إننا نستكشفها بنشاط في الأماكن الحقيقية في شوارعنا وحدائقنا ومناظرنا الطبيعية . فمن خلال العبور إلى الجانب المشمس من الطريق في يوم شتوي ، أو ترتيب بعض الزهور في مزهرية ، فإننا نستجيب للحيوانات والنباتات والصخور والمياه والمناخ المحيط بنا ونخاطبها . إن هذه المظاهر الطبيعية العاملة ــ الأماكن العادية للإنتاج والاستيطان البشري ــ هي أماكن معقدة للغاية . وتاريخها هو في جزء منه تاريخ الهندسة ــ تاريخ كيفية بناء الجسور، واحتواء المياه ، وتقليم الأشجار، و وضع الأرصفة . ولكنه تاريخ جمالي أيضًا . فهو يتعلق بتشكيل العالم وتحديده وجعله جميلاً بطريقة منطقية بالنسبة لنا في الوقت والمكان اللذين نعيش فيهما .

خلال القرن العشرين ، توسع تصميم المظاهر الطبيعية ("تنسيق الحدائق" على عكس المظاهر الطبيعية) إلى مجالات جديدة . قامت وكالات التخطيط الإقليمية ببناء مدن جديدة وإعادة تنظيم مستجمعات المياه بالكامل ، وكلها تتطلب تنسيق الحدائق . بالإضافة إلى المواقع التقليدية مثل الحدائق العامة والعقارات

الخاصة ، تم تنسيق الحدائق بجانب الطرق السريعة وفي المتنزهات الصناعية . نرى تنسيق الحدائق في المطارات وخارج المطاعم ومراكز التسوق ، وكذلك داخل المباني . بعض هذه المواقع إما لم تكن موجودة من قبل أو لم تكن مزروعة أو معتنى بها عادة من قبل البشر. كانت هناك أيضًا تغييرات في الطريقة التي أصبح بها الناس يجعلون مساحاتهم المنزلية تتناسب مع أفكارهم - أو يشعرون باحتياجاتهم – للطبيعة .

في القرن العشرين ، غادر الملايين من سكان أمريكا الشمالية المجتمعات الريفية واستقروا في المدن والضواحي ، مما أدى إلى تعطيل علاقتهم المادية التقليدية بالعالم غير البشري . ومع ذلك ، في بناء الساحات في الضواحي ، وحدائق النصر ، وفي وقت لاحق ، ومع إنشاء مراكز التسوق ، والمتنزهات المجتمعية ، و"الحدائق البرية" ، عالج الناس الطبيعة واستنسخوها بطرق أخرى ، وطوروا جماليات جديدة في هذه العملية . **كانت التغييرات في أنماط الاستيطان في أمريكا الشمالية بطيئة وغير متساوية ، وكانت لها تداعيات اجتماعية وجغرافية معقدة . لم يعد من الممكن التفكير في المدينة والريف كونهما قطبين للاستيطان البشري على الأرض** .

ومع تحول الزراعة إلى الصناعة وتحول مركز الاقتصاد إلى المدينة على مدار القرن الماضي ، هجر العديد من الناس المناطق الريفية ، تاركين مناطق بأكملها فقيرة اجتماعيًا واقتصاديًا . وبحلول ستينيات القرن العشرين ، عندما بلغ هذا الاتجاه ذروته ، كان أكثر من ثلثي سكان أمريكا الشمالية يعيشون داخل الحدود التقريبية للتجمعات الحضرية . لكن هذه الحدود أصبحت غير واضحة تدريجيًا . في سنوات ما بعد الحرب ، وجه مخططو المناطق معظم النمو السكاني نحو الجغرافيا الجديدة للضواحي ، التي استولت على الأراضي الريفية على هامش المدن . وبحلول عام 1970، كان ما يقرب من 40 % من مواطني الولايات المتحدة يعيشون في الضواحي ، التي أصبحت ، على الأقل من الناحية الإيديولوجية ، شكل الأرض السائد في القارة

ومع ذلك ، جلبت السنوات العشرين التالية المزيد من التغييرات . عاد العديد من الناس إلى المناطق الريفية ، أو إلى أمثلة أكثر سلامة من البلدات الصغيرة التي غمرتها المدن سريعة التوسع في سنوات ما بعد الحرب . في ستينيات القرن العشرين ، كانت حركة العودة إلى الأرض ... مجرد أحد أعراض التنمية الأكثر منهجية التي جلبت تفاعلًا متزايدًا بين الاقتصادات الحضرية والريفية . أصبحت المناطق الريفية أماكن مختلفة جدًا عما كانت عليه قبل عقدين من الزمان . من جانبها ، أصبحت الزراعة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا (وربما قاتلًا) بأسواق المال الحضرية . في المناطق ذات المظاهر الطبيعية المشروعة ، أصبحت صناعة الترفيه ... لقد نشأت الصناعة من خلال التسويق الجماعي للأراضي الخام ، والمجتمعات الترفيهية ، والمنتجعات السكنية ، والمنازل الثانية .

ومع تحول طبيعة الاقتصاد الرأسمالي نحو إنتاج المعلومات والسلع ، أصبح الإنتاج لامركزيًا .

والآن ، لم تعد العديد من الأنشطة الصناعية تعتمد على القوى العاملة المركزة أو القرب المادي من الموارد أو الأسواق . فقد هبطت مراكز معالجة البيانات والصناعات الصغيرة الأكثر تخصصًا في الغابات والحقول بعيدًا عن المناطق الحضرية ، مما أدى إلى ظهور أنواعا جديدة من المستوطنات الحضرية التي أطلق عليها بعض المعلقين اسم "**المستوطنات الحضرية**". لقد أدت كل هذه التطورات إلى تكثيف إعادة توطين المساحات الريفية . وقد ساهمت عمليات النزوح وإعادة التوطين المعقدة هذه في نشوء خليط من أساليب تصميم المظاهر الطبيعية .

في السنوات الأخيرة ، ظهرت العديد من ممارسات المظاهر الطبيعية النقدية والبديلة . ويحاول بعضها الجمع بين الأشكال الحديثة والأخلاق البيئية - باستخدام الحفاظ على البيئة وزراعة الحياة البرية ، على سبيل المثال . ويصر البعض ، مثل مشاريع الزراعة الحضرية ، على دمج البستنة مع الاقتصادات المحلية .

وتحاول "المظاهر الطبيعية" والحدائق البرية إعادة إدخال أشكال الأراضي الأصلية إلى البستنة وإعادة تنشيط المدينة . وتشير الاتجاهات الحالية في البستنة إلى التحرك بعيدًا عن التركيز على الأنواع الفردية نحو إنشاء مجتمعات كاملة من النباتات والموائل . يتحدى كل هذا العمل المعتقدات التقليدية لتصميم المظاهر الطبيعية في فترة ما بعد الحرب ، وثقافة ملاعب الجولف والبتروكيماويات وحمامات السباحة التي نشأ الكثير منا على الطموح إليها . وفي أفضل ما في هذا العمل... نستطيع أن نرى عودة ظهور علاقة ما قبل الحداثة مع الطبيعة ، وهي علاقة لا تقوم على الهيمنة والاحتواء . بل نستطيع أن نبدأ من جديد في **تخيل الطبيعة كونها وكيلاً للقوى التاريخية والثقافة البشرية** .

زراعة الضاحية السكنية

لقد كان للضاحية السكنية في فترة ما بعد الحرب تأثير هائل على ممارسات تصميم المظاهر الطبيعية الحديثة ، وما يزال جمالها يؤثر على الجغرافيات البشرية في مختلف أنحاء العالم. . . . **إن القدرة على الحركة هي المفتاح لفهم تصميم المظاهر الطبيعية المعاصر**، وذلك لأن المخططين والبنائين نظموا خلال السنوات الأربعين الماضية معظم تطوير الأراضي حول السيارات . وقد كان لهذا تأثير هائل على كيفية رؤية معظمنا للمظاهر الطبيعية . **لقد غيرت السيارة أيضًا مظهر الأرض نفسها وشعورها** . لقد شجعت السيارة - بل وأصرت - على تنمية واسعة النطاق : المنازل على قطع أراضي مساحتها ربع فدان، والشوارع الضخمة والطرق السريعة التي لا ترحب بالدراجات أو المشاة ، والمتاجر الضخمة أو الساحات المحيطة بمواقف السيارات الضخمة .

إن **تقنيات البناء الجماعي** التي تمارس في أميركا الشمالية تتطلب وتعزز التوحيد . للبناء على الأرض ، يتعين على أصحاب العقارات أولاً أن ينظفوا ، إن إعادة تأهيل الأرض أمر مستحيل ، إذ لا يمكن للمقاولين إعادة تأهيل الأرض إلى حالتها السابقة - وهي مهمة مستحيلة ، لأنهم أزالوا التربة السطحية ، وضغطت الآلات الثقيلة بقايا التربة الجوفية . ولكن هذا مستحيل من الناحية الإيديولوجية أيضاً . فلا يمكن لتنمية الإسكان في الضواحي أن تتظاهر بأنها تشبه المزرعة ، أو المستنقع ، أو الغابة التي حلت محلها (وغالباً ما سميت باسمها) ، لأن هذا لا يتوافق مع الأفكار الشعبية عن التقدم والحداثة ، وهي الأفكار التي تقوم على محو الشعور بالمكان أكثر من العمل معه .

وعلى العموم ، تسعى التصميمات والمواد المعاصرة إلى تحقيق العالمية . والآن أصبحت الشخصية الإقليمية مسألة اختيار وليس ضرورة . عندما كانت المباني مصنوعة من الحجر المحلي والخشب والطين ، كانت لها علاقة عضوية بالتربة والنباتات في المنطقة . يمكننا أن نستشعر هذه التغيرات بشكل مباشر من خلال النظر في ما تم زراعته في المظاهر الطبيعية في الضواحي . أولاً، كان لابد أن تكون المزروعات من الأنواع القادرة على البقاء في ظل الظروف القاسية في معظم ضواحي أمريكا الشمالية : الجفاف ، وضغط التربة ، ورذاذ الملح من الطرق ، والهواء والماء السام بشكل متزايد . حيث أعيش ، فإن النباتات التي تنمو "بشكل طبيعي" في مثل هذه الأماكن هي أنواع رائدة مثل الهندباء ، والسماق ، وشجرة الجنة ، والعليق من مختلف الأنواع - نباتات تعد عادة أعشابًا ضارة .

ومع ذلك ، بدلاً من الاعتراف بالوظائف المفيدة لهذه الأنواع الانتهازية ، أنفقت أقسام البستنة في الجامعات جزءًا كبيرًا من الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين في تربية أصناف نباتية مهجنة وقادرة على تحمل الظروف الحضرية الجديدة . كان لزاماً على النباتات أن تكون سريعة النمو، وقابلة للتكيف مع التكاثر في الحاويات ، وربما ، قبل كل شيء ، براقة . وبحكم التعريف ، فإن هذه المتطلبات تستبعد معظم

الأنواع الأصلية في أميركا الشمالية ـ ذلك أن البراقة تعني في كثير من الأحيان الأنواع الغريبة . ومن المؤسف أنه مع بذل الكثير من الجهد في تربية الجزء العلوي من النبات من أجل المظهر، فإن الهجين الناتج يكون له دائماً نظام جذر ضحل وضعيف ، وقاعدة عارية ، ويحتاج إلى التقليم المتكرر، والتسميد ، وجرعات من المبيدات الحشرية خلال حياته القصيرة .

وأصبحت الأشجار دائمة الخضرة سمة مشتركة أخرى لجماليات الضواحي . فالعرعر، والتنوب ، والطقسوس ، والأشجار دائمة الخضرة عريضة الأوراق المزروعة في جميع أنحاء المناطق المعتدلة من القارة تقول باستمرار "خضراء" وبالتالي تستحضر الطبيعة مراراً وتكراراً . والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن الطبيعة غائبة في أشهر الشتاء الخالية من الأوراق (أو ربما تكون حاضرة للغاية) ، لأنها بسبب بعض الإهمال لا تنتج الخضرة في ذلك الوقت من العام . ولقد أصبحت الأشجار دائمة الخضرة تتجمع حول المنزل كنوع من التصحيح .

ولكن ما هي الاستراتيجيات الاقتصادية التي تنتهجها الثقافة في إعادة تشكيل المشهد المحلي ؟ لا شك أن بعض الأفكار القائمة بالفعل انتقلت إلى ضواحي ما بعد الحرب . فقد زرع العديد من الناس أشجار الفاكهة وحدائق الخضروات عندما انتقلوا إلى الضواحي ، بل إن بعضهم أحضر معهم خنازيرهم ودجاجهم ـ على الأقل إلى أن أقرت البلديات تشريعات مناهضة لتربية الماشية باسم الصرف الصحي . ولكن الفناء الخلفي لم يكن ليخدم كساحة مزرعة نازحة . فقد تدخلت عوامل كثيرة . وسرعان ما أصبحت الضاحية حبيسة اقتصاد استهلاكي حيث كانت الزراعة والطاقة والنقل والمعلومات صناعة واحدة متكاملة .

كما عملت تكنولوجيا الصرف الصحي والتغليف على تعزيز العلاقات مع البيئة . وعلى هذا ففي حين كانت التحوطات والأسوار في الضواحي تذكرنا بالأسوار القديمة للمزارع والمراعي ، على سبيل المثال ، فإنها كانت تعمل أيضاً على تعزيز الإيديولوجيات المتجددة للملكية الخاصة والأسرة النووية . لقد تم بناء معظم ضواحي أمريكا الشمالية بسرعة في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية . وكانت إحدى نتائج هذا المشروع الضخم توحيد أنماط المظاهر الطبيعية . وتم الاستعانة بالعديد من الأنماط القائمة لإنشاء جماليات مرادفة للحداثة في كل مكان والتي كانت تهيمن حتى وقت قريب جدًا على ممارسات المظاهر الطبيعية .

وفي شكلها الكاريكاتوري ، فإن السمة الأكثر بروزًا للجماليات الضواحي الحديثة هي العشب ، حيث يتم زراعة ثلاثة أو أربعة أنواع من الأعشاب الغريبة معًا كزراعة أحادية . يتم استئصال الأعشاب الأصلية والنباتات عريضة الأوراق من العشب باستخدام مبيدات الأعشاب ، ويتم قص العشب بالكامل بدقة لمنع "غزو" الأنواع الأخرى ، وهو مكون طبيعي لخلافة النباتات . هناك حاجة إلى جرعات هائلة من المبيدات الحشرية والأسمدة الاصطناعية والمياه للحفاظ على العشب أخضرًا. . . . وبالتالي فإن القيمة الجمالية للعشب تتناسب بشكل مباشر مع بساطة نظامه البيئي ، وحجم المدخلات . وقد أصبحت "المنتجات الثانوية" لهذا النظام مألوفة الآن : فنظرًا للمدخلات المكثفة من الماء والوقود الأحفوري ، فهناك مخرجات مرتبطة بالسموم التي تتسرب إلى منسوب المياه .

عادةً ما تُزرع حديقة الضواحي بأشجار الظل وأحيانًا شجرة زينة صغيرة يتم تربيتها لتقديمها للجمهور: إما أن تكون مزهرة أو متنوعة أو ملتوية بطريقة ما أو متقزمة . تُزرع هذه الأنواع لإضفاء الاهتمام على تركيبة ثابتة بخلاف ذلك . المنزل مُحاط بما يسمى بزراعات الأساس ، وغالبًا ما تكون شجيرات دائمة الخضرة مزروعة بشكل متماثل أو متناوبة مع شجيرات متنوعة أو عريضة الأوراق . وعادةً ما يتم قصها إلى أشكال مستديرة أو مستطيلة . يهيمن الممر والجراج بخلاف ذلك على مقدمة الأرض . توجد منطقة ذات سطح صلب للطهي وتناول الطعام في الهواء الطلق في الجزء الخلفي أو الجانبي من المنزل ، وعادةً ما يكون فراش للخضروات أو الزهور في الجانب البعيد من الفناء الخلفي . لا علاقة لموضع المنزل على الأرض

بحركة الشمس أو أي ميزات أخرى للمكان . إن العوامل التي تحدد التصميم هي في أغلب الأحيان العوامل القابلة للقياس : عدد السيارات لكل أسرة (المعيار الصناعي هو 2.5 سيارة ، بالإضافة إلى المركبات الترفيهية وماكينات قص العشب) ، ومساحة الأرض المسموح بها ، وأقصى عائد على الاستثمار . وهذه هي حديقة الضواحي كما تم زرعها في آلاف لا حصر لها من المجتمعات في مختلف أنحاء القارة .

الرجال والنساء في حديقة الضواحي

في أمريكا الشمالية بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت أنماط الإدارة والهيمنة تملأ الثقافة الشعبية . على سبيل المثال ، لا تهيمن الحديقة الرعوية على الساحات الأمامية للضواحي فحسب ، بل تمتد أيضًا عبر ملاعب الجولف ، والمقار الرئيسية للشركات ، وساحات المزارع ، وأراضي المدارس ، والحرم الجامعي ، ومزارع العشب ، وحواف الطرق السريعة . ولكي تخضع هذه المساحات الشاسعة من القارة لنظام صارم من إدارة العشب ، كان لزاماً أن تتوافر بنية تحتية تكنولوجية كاملة .

وكان لزاماً أن تتوفر مصادر وفيرة من البترول والكهرباء لتوفير البستنة الآلية على نحو متزايد . وقد نجحت جزازات العشب ، وآلات قص الحشائش ، وآلات قص الحواف ، وآلات إزالة الأعشاب الضارة ، ومنفاخات الأوراق ، وآلات قص العشب ، وآلات نشر الأسمدة ، وأجهزة الرش في السيطرة على الطبيعة . كما تم قص الشجيرات والأسيجة بعناية . وكان لكل قطعة أرض سكنية ممر خاص بها (ممر كبير، لاستيعاب سيارتين ونصف). وفي المناخات الباردة ، كان هذا يستلزم في كثير من الأحيان شراء سيارة ثلجية . في الخمسينيات من القرن العشرين ، قدمت صناعة البتروكيماويات الجديدة مبيدات حشرية هيدروكربونية مكلورة كمنتجات معجزة تقريبًا يمكنها القضاء على الأعشاب الضارة أو الحشرات أو الفطريات غير المرغوب فيها

وقد قلصت الأدبيات البستانية الشعبية التربة ... إلى وسط محايد عديم الحياة لا يفعل أكثر من نقل الأسمدة القابلة للذوبان في الماء ومساعدة النباتات على الوقوف . وكونها موقعًا للوساطة بين البشر والطبيعة ، أصبحت حديقة ما بعد الحرب مجهزة بالتكنولوجيا . وبينما قد تظل الأعمال المنزلية المعاصرة مصدرًا للمتعة ، فإن الأعمال المنزلية نفسها قد تغيرت . يتحدث العديد من الناس اليوم بحب عن التسلق على جزازة جرار وقطع حديقة ضخمة - ليس على عكس الطريقة التي تحصد بها الحصادة حقلًا من الحبوب . هذا نشاط ينتهي به الأمر إلى دمج جسم الإنسان في رؤية آلية للطبيعة .

كانت فكرة الجسد كآلة موجودة منذ عصر التنوير وبدايات الرأسمالية الصناعية ؛ كما بدأت عملية البستنة في التحول إلى آلية بحلول أوائل القرن التاسع عشر. ولكن في ثقافة أمريكا الشمالية بعد الحرب العالمية الثانية ، أصبح عدد كبير من الناس بستانيين لأول مرة ، حيث لم تعد أشجار الشوارع والحدائق هي الوجود البستاني الوحيد في المدينة . ومع ذلك ، كانت المساحة التي تحيط بالمنزل في الضواحي من نوع جديد . لم تكن حديقة المطبخ وحظيرة الماشية المألوفة للنساء ولا الحقل الريفي أو الشارع الحضري هي التي كانت في أغلب الأحيان من اختصاص الرجال. ومع تقلص صعوبة البستنة وتزايد اعتمادها على التكنولوجيا – أو بعبارة أخرى ، مع تحولها إلى مرادف لإدارة العشب – أصبحت بشكل متزايد مشروعًا ينفذه الرجال . في السابق ، كانت التقنيات بالنسبة للرجال مقتصرة دائمًا على مكان العمل . كان من المتصور أن المنزل ، والمساحة الرمزية التي يقف فيها ، يشكلان ملجأ من عالم العمل المنعزل .

ولكن التغيرات في الاقتصاد جلبت تغييرات في العلاقة بين العمل والمنزل . ففي بعض النواحي ، تم نزع الصفة الذكورية عن مكان العمل مع تحول الصناعة بعيدًا عن الإنتاج الأولي نحو ما يسمى "الخدمات" . ومع سيطرة الاستهلاك ، وليس الإنتاج ، على الاقتصادات الغربية في النصف الثاني من القرن العشرين ،

غالبًا ما تبني الرجال "هوايات" أكثر صرامة للتعويض عن فقدان العمل البدني . وكانت العناية بالحديقة واحدة من هذه الهوايات . هذا لا يعني أن النساء توقفن عن البستنة ، تمامًا كما لم يتوقفن عن الطهي عندما توقف الرجال عن العمل . ولقد بدأت النساء في الإشراف على حفلات الشواء في الفناء الخلفي للمنزل .

ولكن وجود النساء في الحديقة أصبح يميل إلى الارتباط بكل ما يمكن تعميمه كونه "زهورًا" : الحدود الدائمة ، وحدائق الأعشاب ، والشرفات ، وصناديق النوافذ ، ونباتات الفراش ، والصوبات الزراعية . وكثيرًا ما يرفض خبراء المظاهر الطبيعية هذا العمل البستاني (والبستنة ليست تقليدًا قويًا في أمريكا الشمالية) كونه عملًا شاقًا أو يتطلب الكثير من العمل ، في حين أنه ربما يكون من الأفضل التفكير فيه كونه دليلاً على الوعي الشديد والاهتمام بالمجتمعات الأخرى في العالم البيوفيزيائي . وبالنسبة للنساء ، أصبحت المجالات المنزلية للغذاء والصرف الصحي أيضًا ميكانيكية تدريجيًا ؛ وظلت أحواض الزهور واحدة من الأماكن المنزلية القليلة التي لا توسطها التكنولوجيا . وكان الرجال يستخدمون جزازة العشب فوق العشب ؛ وكانت النساء يحفرن التربة باستخدام مجرفة.

كانت الضواحي شكلاً جديداً من أشكال الاستيطان البشري على الأرض ، وطريقة جديدة للعيش . وفي كثير من الأحيان بعيداً عن الأصدقاء والأقارب ، و"مستقلاً" عن الجيران (كما كان من المفترض أن تكون الضاحية مستقلة عن المدينة والريف) ، كانت الأسرة النووية في الخمسينيات متمسكة بأيديولوجيات جديدة للترابط . ومع ذلك ، فإن شكل الضاحية نفسه كان يبرز الشعور بالغياب في مركز حياة أسرة الطبقة المتوسطة . فقد حلت المساكن الجديدة محل المدفأة وموقد الكيروسين بالتدفئة المركزية ، وبالتالي تبدد الخبرة الاجتماعية في جميع أنحاء المنزل . كما كسرت الثلاجة المليئة بـ "الأطعمة التي يمكن اقتحامها" وبرامج التلفزيون في ساعة العشاء نمط أوقات الوجبات .

كما شجعت غرف النوم المنفصلة لجميع أو معظم الأطفال وتطور المساحات المخصصة للرجال مثل الورشة و"الفناء" على المزيد من التمييز الصارم بين الجنسين . وفي الوقت نفسه ، **أصبحت التجارب الجماعية داخل الأسرة غالبًا مسألة اختيار أكثر من كونها ضرورة** . لقد فتح الاستقلال المتزايد الذي شعر به الأطفال عن آبائهم وأشقائهم إمكانية الحياة العاطفية خارج حدود الأسرة النووية للرجال والنساء على حد سواء... تقف الضاحية في مركز كل ما ندركه كونه "ثقافة الخمسينيات" . وتحت مظهرها الجمالي الهادئ وحداثتها الصارمة ، يمكننا الآن أن نلمح توترات حياة لم يسبق لها مثيل بالنسبة للعديد من الناس .

حتى ظهرت هذه التوترات إلى السطح في ستينيات القرن العشرين ، كانت الضاحية حدودًا . لم تكن **هناك نماذج لأسرة تمزقها ثقافة السلع حديثًا** ، تمامًا كما لم تكن هناك **نماذج لتصميم الحدائق في مكان لم يكن موجودًا من قبل** . كان الأمر وكأن الطبيعة وتجربتنا معها كانت معلقة . كانت الأشياء غير مألوفة في الضاحية ، وليس من المستغرب أن يفر الأشخاص الذين يستطيعون تحمل تكاليفها كلما سنحت لهم الفرصة . كان الناس يقضون عطلات نهاية الأسبوع والعطلات الصيفية في كثير من الأحيان ليس في حدائق دون ميلز أو ليفيتاون أو والنات كريك ، بل في ما كان يُتصور أنه الطبيعة ذاتها : الحدائق والبحيرات والمناطق الترفيهية التي تم إنشاؤها حديثًا . وهنا ، أخيرًا ، من خلال نافذة السيارة أو خلف المخيم أو الكوخ ، كانت هناك تجربة للطبيعة كانت مألوفة إلى حد ما . في الواقع ، يبدو أن مكان العطلة هذا - وليس الضاحية - كان الطبيعة .

ولكن فكرة الطبيعة التي ابتكرتها المظاهر الطبيعية في الضواحي بعد الحرب لم تكن فكرة موحدة . التمييز الذي أجريته بين "الحديقة" و "الزهور" - والتوازي مع الأدوار الجنسانية - كانت وما تزال تُدحض من قبل عادات البستنة لدى العديد من الناس . البستنة العضوية ، على سبيل المثال ، هي ممارسة قديمة جدًا سمحت للعديد من الناس بمقاومة التوغلات التكنولوجية في الخمسينيات . كما قاومت التكنولوجيا بطرق أكثر

وضوحًا أيضًا . ولعل الحركة الجماهيرية ضد القنبلة كانت أقدم تعبير في هذه القارة عن البيئة الحديثة . وخارج الضواحي ، وفي المناطق المأهولة القديمة في المدن نفسها ، اكتسبت أشكالا أخرى من المقاومة قوة . وكانت الحركات الاجتماعية التي ننسب بداياتها إلى "الستينيات" ـ الحقوق المدنية وحقوق الإنسان ، والنسوية ، والسلام ، وحرية التعبير، والتحرر الجنسي ، فضلاً عن البيئة ـ عبارة عن صراعات جزئية حول طبيعة الأراضي الحضرية واستخدامها . وقد طور النشاط الحضري أفكاره الخاصة المختلفة للغاية حول تصميم المظاهر الطبيعية ـ وهي الأفكار التي أصبحت الآن أكثر تأثيراً من أي وقت مضى .

الضرورة البيئية

ما يزال تصميم المظاهر الطبيعية في الضواحي في السنوات التي أعقبت الحرب مباشرة هو النموذج السائد مكانياً ، ولكنه أصبح يعني شيئاً مختلفاً اليوم . مع التشكيك في الحداثة ذاتها في مختلف أنحاء الثقافة ، فإننا نختبر تعبيراتها بمزيد من التناقض . ولنتأمل هذه الأمثلة : **الحديقة "التي لا تحتاج إلى صيانة"** المصنوعة من الحصى الملون والتي كانت شائعة ذات يوم في فلوريدا وجنوب غرب الولايات المتحدة ، أصبحت الآن في طريقها إلى الزوال . وكانت مصفوفتها هي العمل الياباني الكاليفورني في أوائل القرن العشرين . في الستينيات من القرن العشرين ، كانت هذه العملية مذهلة عندما تم تنفيذها بشكل جيد . ولكن تبين أن عدم الصيانة يعني التخلص من الأعشاب الضارة بجرعات منتظمة من [الأسمدة] أو باستخدام شعلة اللحام أو قاذف اللهب . ومن غير المرجح أن يكون لهذا النظام في ثقافة مرت بفيتنام وقناة الحب نفس المكانة التي كان لها في السابق . وعلى نحو مماثل ، فإن "مثبطات النمو" التي ترشها على التحوطات حتى لا تحتاج إلى قصها . وهذه هي استراتيجيات تنسيق الحدائق التي تنكر التغيير و وجود الحياة .

في السنوات الأخيرة ، بدأ العلم البيئي في تغيير الطريقة التي يفكر بها سكان أمريكا الشمالية في حدائقهم وكيفية عملها . وأصبحت أفكار النظام البيئي والموائل نماذج جديدة لعمل تنسيق الحدائق . هناك اهتماما جديدا بالنباتات المحلية وحدائق الزهور البرية ، ومكافحة الآفات البيولوجية والأغذية العضوية ، فضلاً عن **زراعة الحيوانات البرية** . إن هذه كلها أعراض لفهم جديد للأرض الحضرية كونها حيوية وديناميكية ومتنوعة . وغالباً ما تُفرض هذه القضايا الآن على العلن . فالعديد من المدن في أميركا الشمالية تفرض الحفاظ على المياه ، على سبيل المثال . فمدينة سانتا باربرا في كاليفورنيا ، تحظر على الناس ري حدائقهم بمياه البلدية . وتدفع مقاطعة مارين في كاليفورنيا للسكان أموالاً مقابل إزالة حدائقهم واستبدالها بنباتات تتحمل الجفاف .

وفي العديد من أجزاء غرب الولايات المتحدة ، يتوقف تطوير الأراضي الجديدة على عدم زيادة صافي استخدام المياه ، الأمر الذي يضطر المجتمعات إلى التحقيق في المراحيض التي تستخدم السماد ، وإعادة استخدام المياه الرمادية (مياه الصرف الصحي غير العادمة) ، وما يسمى الآن "بزراعة المناطق الجافة" ، وهي مخططات زراعة تحافظ على المياه . وفي بعض الأحيان ، تعني هذه المخططات السحب بشكل صارم من المنطقة : مثل المظاهر الطبيعية للصبار والصخور في أريزونا ، على سبيل المثال . ولكنها قد تعني أيضاً العمل مع مركبات من النباتات الأصلية والنباتات من مناطق بيولوجية مماثلة في أماكن أخرى. في جنوب كاليفورنيا ، يعني هذا رفض الأنواع النباتية الاستوائية وشبه الاستوائية التي ارتبطت لفترة طويلة بمدينة لوس أنجلوس والافادة بدلاً من ذلك من مجتمعات النباتات في المناطق الاستوائية الجافة والغابات في مناطق البحر الأبيض المتوسط في العالم : جنوب فرنسا ، و وسط شيلي ، و جنوب إفريقيا ، وأستراليا ، وبالطبع جنوب كاليفورنيا نفسها . كل هذا العمل يمنح الأماكن التي نعيش فيها شعوراً بالسلامة الإقليمية .

تتردد أسئلة المكان والقيم بشكل مختلف عبر الأجيال والطبقات والثقافات السياسية . ولكن بعض أعمال المظاهر الطبيعية قادرة على تحفيز المجتمعات والمهن على حد سواء . إن **الاستعادة البيئية** هي مثال على ذلك ، وهي تخصص ناشئ - وحركة - مخصصة لاستعادة صحة الأرض . والاستعادة هي إعادة بناء المظاهر الطبيعية والتاريخية حرفيًا . ويمكن أن تعني إصلاح ضفاف الأنهار المتدهورة ، وإعادة زراعة الغابات الحضرية ، وإنشاء المستنقعات ، أو إخراج الجداول من قنوات المياه . ومنذ أوائل الثمانينيات ، كان هذا العمل - الذي يقوم به الكثير من الناس - الذين يعملون مجانًا في أوقات فراغهم - مستمرًا في الغابات والسافانا والأراضي الرطبة والأنظمة البيئية في جميع أنحاء أمريكا الشمالية .

تأسست **جمعية الاستعادة البيئية** في عام 1987 لتنسيق جهود ممارسيها المختلفين : المزارعين والمهندسين والبستانيين ومديري الأراضي العامة ومهندسي المظاهر الطبيعية وعلماء الأحياء البرية ، من بين العديد من الآخرين . إن **علم البيئة الترميمي** هو عمل متعدد التخصصات ، يعتمد على المعرفة التقنية والعلمية لملاحقة عامة . إنه أكثر من مجرد زراعة الأشجار أو الحفاظ على النظم البيئية : إنه محاولة لإعادة إنتاج ، أو على الأقل تقليد ، الأنظمة الطبيعية . إنه أيضًا وسيلة للتعلم عن هذه الأنظمة ، ونموذج لعلاقة سليمة بين البشر وبقية الطبيعة .

إن **مشاريع الترميم** تستكشف بنشاط تاريخ التدخل البشري في العالم . وبالتالي فهي تشمل الزراعة ، والطب ، والفن في آن واحد . إنها ليست أفكارًا جديدة ، ولكنها أفكار حديثة في الثقافة . إن إعادة تداول هذه الأفكار أدى إلى بعض المناقشات الفلسفية والسياسية الرائعة . **ما هو المشهد الطبيعي الأصيل؟** ما هو الأصلي ، أو الطبيعي ؟ إنها أسئلة ثقافية ، ومن المنعش أن نراها تثار في إطار مهنة تقنية - بل وحتى علمية . إن الترميم يسعى بنشاط إلى إيجاد أماكن لإصلاح المحيط الحيوي ، وإعادة خلق الموائل ، وكسر الانقطاعات والانفصالات التي جلبتها الزراعة والتحضر إلى المظاهر الطبيعية . ولكن على عكس الحفاظ على البيئة ، فإنه ليس تمرينًا رثائيًا . **بدلاً من مدح ما دمرته الحضارة الصناعية ، يقترح الترميم أخلاقيات بيئية جديدة** . وتثبت مشاريعه أن البشر يجب أن يتدخلوا في الطبيعة ، ويجب أن يزرعوها ، وأن يشاركوا فيها . وبالتالي فإن الترميم يغذي تقديرًا جديدًا للمظاهر الطبيعية العاملة ، تلك الأماكن التي تشكل بنشاط مسكنًا متناغمًا في العالم .

ما نراه في أعمال تنسيق الحدائق في أواخر القرن العشرين هو بقايا العديد من التقاليد : الرومانسية ، والحداثة ، والبيئية ، والرعوية ، لقد كانت الضواحي في الماضي عبارة عن تقاليد مضادة للثقافة ، وإقليمية ، وزراعية ، والآن ترجع إلى التجديد . وقد تمكنت جمالية الضواحي من استيعاب بعض هذه التقاليد ، ولكن اليوم أصبحت الضواحي بوضوح مشهدًا لم يعد قادرًا على التعامل مع التوترات بين المدينة والريف - ناهيك عن تلك التي يفرضها العديد من الأشخاص والحركات المنشغلة بالفعل بإقامة علاقات جديدة مع العالم غير البشري . لقد جلبت الظروف البيئية والثقافية المتغيرة جماليات متغيرة . وإذا كانت هذه التغييرات قد تركت مهنة المظاهر الطبيعية (والمناظر الطبيعية) في حالة من الفوضى ، فقد سمحت أيضًا لأعداد كبيرة من الناس بالانخراط في تشكيل العالم المادي كما لم يحدث من قبل . ومع إعادة تفسير أفكار المظاهر الطبيعية وعكسها ، أصبحت حدود الحديقة أقل تميزًا . **تحاول العديد من الأعمال الأخيرة إعادة دمج الريف والمدينة ، مما يشير إلى أن ما كان ذات يوم طبيعة في المنزل قد يصبح قريبًا طبيعة في المنزل.**